وجوه المعنى والمقصدُ القرآني في قوله تعالى:

﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾

دراسةٌ دلاليةٌ على وفقِ المعطيات اللغويةِ والقرآنيةِ

أ.م.د. حسين صالح ظاهر

مديرية تربية كربلاء

The aspects of the meaning and purpose of the Qur'an in the words of the Most High:

(You are the best nation brought forth for mankind)

Semantic study (According to linguistic and Quranic data)

Asst.Prof.Dr. Hussein Saleh Zahir

Karbala Education Directorate

Email: Huston.salih@sadiq.edu.I'm

ملخص البحث

سلك بعض المفسرين طريقا في التفسير يقيد المعنى المراد من لفظة ما أو نسق لغوي معين فيجعل القصد من الخطاب مبهما ، مع وجود معان أخرى تحتملها هذه اللفظة أو تلك وهذا التقييد أضر بالمعاني الكثيرة التي ضمّنها القرآن الكريم بالأنساق اللغوية التي استعملها لبيان مقاصده في آياته المحكمات ومن هذه الآيات قوله تعالى : ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللهِ ﴾ ، فقد نظر بعض المفسرين إلى لفظة أمّة بمعنى مجموع الأمة المسلمة كلها وعلى ذلك فسرت الآية بهذا القصد والمعنى عند بعضهم، وهناك من فسرها على أنّ المقصود هو بعض الأمة ولم يعين القصد الدقيق ، ومنها استنبط حكما شرعيا بوجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لبعضهم وليس جميعهم ، وذهب بعضهم إلى أنّ المقصود بالأمة هو الصحابة الذين عاصروا النبي ﷺ، وعدّ ذلك من الخصائص والكرامات التي مُنحت لمن صحب الرسول ﷺ وهي بعض وجوه المعاني المحتملة ، وأخرى وصلت إلى تعيين أسماء معينة من الصحابة ، والغالب في هذه المعاني التي ذكرها المفسرون هو البعد عن المقصد الدقيق والمراد من الآية الكريمة . هذا البحث هو محاولة بيان الوجوه المتعددة لمعنى (أمّة) عبر المعطيات التي تقدمها اللغة العربية المستعملة في التنزيل والخطاب العربي ، وكذلك بعض الآيات القرآنية التي تسهم في ايضاح المقصود بـ(أمّة) ، فضلا عمّا ورد من أحاديث نبوية شريفة في تفصيل وبيان ما جاء في القرآن الكريم مجملا وذلك عبر محورين الأول : المعطيات اللغوية في بيان معنى أمّة واستعمالها عند العرب ،والآخر: المعطيات التفسيرية التي يقدمها القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة وسيكون ذلك بعرض آراء المفسرين واللغوين ،ثمّ بيان رأي البحث على أساس المعطيات التي سيناقشها في الدراسة .

الكلمات المفتاحية : (أمّة ، التفسير والمفسرون ، اللغة والاستعمال ، المقصد القرآني).

Abstract

Some commentators have followed the method of restricting the meaning in the interpretation of the meanings of the expressions of the Holy Qur'an so that it does not reveal the precise intentions they carry in the contexts in which they are mentioned These interpretations resulted in the formation of an image that is far from the goal and purpose of the Holy Qur'an when it used these terms and this method is inconsistent with the words and structures of the noble book which bears the characteristic of inclusiveness and plurality in its aims which it included in its verses and perhaps the word (illiterate) with which the Messenger described (P) Of these expressions that did not take their space from the multiple connotations the commentators confined themselves to mentioning the meaning (which does not read well and does not write well) which is considered the weakest of its connotations and this meaning has been adopted by many commentators and highlighted it at the expense of other meanings that this word bears which offended the position of the prophethood in contradiction Image of the Prophet (P) the sublime model presented by the Holy Qur'an.

This research is an attempt to clarify the meanings that the word "illiterate" carries through the lexical and grammatical data presented by the Arabic language and its laws that contribute

to clarifying the truth of the misconception that is based on taking one aspect of meaning and neglecting other aspects in addition to what the Holy Qur'an has provided of the evidence that clarifies the Qur'an's intention from The use of this word through linguistic data according to the Arabic language system through two axes:

The first: It deals with tracing the meaning of (the illiterate) according to the commentators and their multiplicity among them and showing the image of their neglect of this multiplicity by not adopting it which made the meaning of (not good reading or writing well) among the meanings that do not fit the status of prophethood.

The second: It deals with the grammatical aspect that contributes to clarifying what is meant by (the illiterate) through the grammatical and linguistic views of this word as well as the Qur'anic clues that clarify the intent.

Keywords: nation interpretation and interpreters language and usage Quranic intent.

المدخل

يعدّ القرآن الكريم بفصاحته العالية وأساليبه البيانية الخاصة خطابا ذات مقاصد قريبة ومقاصد بعيدة يفهمها العربي المخاطب سواء في ذلك في زمن الرسول ﷺ أو بعده، وحقيقة سيستمر هذا الخطاب بمقاصده إلى قيام الساعة لما يحمله من تكليف شرعي عبر الأمر والنهي ، ومن حقائق تنظيمية عبر الاخبار والقصص القرآني ، وكل أنساقه ذو مقصد ومعنى وجاء بلغة عربية مستعملة في الخطاب العربي ، ومن هنا ظهر تحدي القرآن للعرب بأن يأتوا بسورة مثله فأعجزهم وهم ما هم في البلاغة والبيان؛ لذلك قد فهم العرب معنى الآيات وما هو المقصد منها فلم يحاولوا صرف المعنى المراد عن الوجه الذي أراده القرآن ولم يطعنوا في بلاغته ، لكنهم عاندوا وأصرّوا بعدم الإيمان، ووقفوا موقفا المحارب للدعوة ولهم في بلاغة القرآن أقوال منها : ((والله إنّ لقوله لحلاوة ، وإنّ أصله لغدق ، وإنّ لفرعه لجنى))[1] ، وهذا القول صدر من الوليد المخزومي الذي يعدّ من عتاة المعادين للدعوة ؛ لذلك نجد أغلب أهل اللغة يؤكدون أنّ معرفة سنن العرب في الكلام هو المدخل الصحيح لفهم القرآن الكريم من مثل قوله : ((إنّما يعرف فضل القرآن من كثر نظره ، واتسع علمه، وفهم مذاهب العرب وافتنانها في الأساليب ، وما خصّ الله به لغتها دون جميع اللغات))[2]؛ وذلك لأنّ القرآن قد ((جاء على سمت العرب في كلامها ، وسنن خطابها ، وقد وردت آيات كثيرة فيها ألفاظ مستعملة بين الناس))[3] فبدون معرفة هذه الأساليب يكون الباحث في القرآن الكريم أيا كان قاصرا عن فهم المراد الحقيقي لمقصد القرآن الكريم، فقد استعمل أساليب العرب بقصد الاتصال والتواصل وهي دائرة تعاون بين المتكلم (القرآن) والمتلقي وهم عموم الناس على مرّ الحقب ، فلابد من وجود مراعاة للمتلقي من قبل المتكلم ليصل المقصد دون لبس أو ارباك ، فاستعمل القرآن ألفاظه من بيئة

(١) كتاب المغازي والسير ، ابن اسحق ، تحقيق سهيل زكار ،بيروت ، دار الفكر ، ١٩٧٨ ، ١٥١
(٢) تأويل مشكل القرآن ، ابن قتيبة ، شرح أحمد صقر ، بيروت ، المكتبة العلمية ، ١٢
(٣) العقد الفريد ، بن عبد ربه ، شرح أحمد أمين وآخرون ، بيروت ، دار الكتاب العربي ، ١٩٦٥ ، ٥ / ١٦٧

اللغة العربية، ليكون المعنى واضحا ودقيقا وهو مبدأ مهم في عملية التواصل ((فالاستعمال هو المحدد لطبيعة المعنى والمتحكم في توجيه عملية الفهم))[١] ، كما يؤكد الباحثون على اتباع المتكلم لقانون اللغة وقواعدها في ايصال المقصد والمعنى وذلك باستعمال ألفاظ تواضع عليها الناس في كلامهم ؛ ليكون الكلام مفهوما ، وعلى المتكلم أنْ يضّمن كلامه اشارات لغوية تساعد المتلقي على فهم المراد فهما دقيقا دون لبس ، وذكروا مصطلحات كثيرة في توضح العلاقات في عملية التواصل من مثل (المناسب الاستدلالي) فهو : ((مناسب ؛ لأنّ المتكلم يستعمل المثير الأكثر ملاءمة لإبلاغ افتراضاته ، وهو استدلالي؛ لأنّ المتلقي يستدل على القصد الاخباري انطلاقا من المؤشرات المسوقة من قبل المتكلم .... ويكون التواصل الاستدلالي المناسب بأنْ ينتج المتكلم مثيرا واضحا للمخاطب))[٢] ، وهناك من الباحثين من اصطلح عليها بـ(المقاربة الاستدلالية) وهي ((تحدث بوساطة مؤثرات يقدمها القائل حتى يستطيع المستمع الاستدلال على مقاصد الأول انطلاقا من مجموع المقدمات التي تجعل العملية الاستدلالية تتسع لتشمل كلّ الامكانات التي يوفرها القول بدلالة كلماته وطريقة تركيبها وأبعادها وايحاءاتها))[٣]، وفكرة التواصل الناجح قد عرفها القدماء مثلما عرفها المحدثون فقد نظر القدماء إلى هذه العملية على أنّها افهام للمتلقي من مثل قولهم : ((مدار الأمر والغاية التي يجري إليها القائل إنّما هو الفهم والافهام ، فبأي شئتَ بلّغت الافهام ، وأوضحت عن المعنى فذلك هو البيان في ذلك الموضع))[٤] ، وقد اظهر القرآن الكريم بأنساقه اللغوية المستعملة في الآيات الكريمة المقاصد والمعاني دون لبس ، إذ راعى الأسلوب القرآني مستويات التفكير عند المتلقي ، واستعمل الألفاظ والسياقات التي تساعده على فهم كلّ مستويات المعنى ، وهي مسألة فهمها المتلقي الأول وهم أصحاب السليقة إذ يعرفون أنّ للكلام مستويات

(١) مقولة الحرفية ومفهوم الفضاء في التراث ، عثمان صادق ، اربد ، عالم الكتب الحديث ، ٢٠١١ ، ٢٤.
(٢) التداولية عند العلماء العرب ، مسعود صحراوي ، بيروت ، دار الطليعة ، ٢٠٠٧ ، ٣٨.
(٣) عندما نتواصل نغير ، عبد السلام عشير ، الدار البيضاء ، افريقيا الشرق ، ٢٠٠٦ ، ٤٦ .
(٤) البيان والتبيين ، الجاحظ ، تحقيق عبد السلام هارون ، القاهرة ، مكتبة الخانجي ، ١٩٦٠ ، ١ / ٧٦.

((الأول : هو ذلك المعنى المجرد ، والثاني : هو المعنى في اطار السياق وذلك بإرجاع المعنى أو المعنى الدلالي كليهما إلى عبارة أو جملة ، والمستوى الثالث : هو ذلك الخاص بالمعنى الذي نتوصل إليه إذا ما أخذنا في الاعتبار نية المتكلم المعروفة بالقصد))[١] ، والبناء اللغوي للقرآن الكريم قائم على مبدأ اظهار المعاني والمقصد فقد أسس مبدأ القصدية ((ما استدعى بناء لغويا خاصّا ... يستوفي عمليات الابلاغ والاقناع))[٢] ، فأي فهم صحيح لآيات الكتاب العزيز يجب أنْ ينبع من مبدأ ((معرفة أوضاع اللغة العربية وأسرارها ، تعين على فهم معاني الآيات التي لا يتوقف فهمها على غير لغة العرب))[٣] ، فكثير من ألفاظ الآيات التي أخذ بظاهرها بعض المفسرين لقلة فهم بأساليب العرب ومجازهم أدت إلى فهم خاطيء من مثل لفظة (يد) ؛ ((فاليد في كلام العرب تعني القوة والنعمة في قوله تعالى : ﴿قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ﴾ [سورة ص الآية ٧٥] ، وقوله تعالى : ﴿ وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴾ [سورة الذاريات / ٤٧]))[٤]، إذ أخذوا المعنى الظاهر وهو جارحة اليد وعليه قرروا حكما بوجود الجوارح لله سبحانه وتعالى ؛ فالنصوص القرآنية لا يمكن فهمها بعيدا عن اللغة العربية ومعطياتها، كونها ذا صلة وعلاقة بالمجتمع وثقافته ؛ وعبر هذا نستطيع معرفة السياقات المصاحبة مما يسهم بشكل فعال في الفهم وايضاح المقصد عن طريق ((تفحص العلاقة بين النصّ وسياقه التواصلي ، نستطيع التفكير في النصّ على أنّه يقول شيئا ما ، ونستطيع التفكير في السياق التواصلي على أنّ المتكلم يستعمل تلك الكلمات ليفعل شيئا ما))[٥]، وعلى أساس هذه الأفكار والمعطيات التواصلية سنحاول فهم القصد القرآني من استعمال لفظة (أمّة) في الآية الكريمة ، والسياق المصاحب لها عبر بيان وجوه معنى

(١) المعنى في لغة الحوار ، جيني توماس ، ترجمة نازك ابراهيم ، الرياض ، دار الزهراء ، ٢٠١٧ ، ١٨ .
(٢) النحو القرآني في ضوء لسانيات النصّ ، هناء محمود ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، ٢٠١٢ ، ٣٨.
(٣) التفسير والمفسرون ، محمد حسين الذهبي ، اوند دانش للطباعة ، ١ / ٤٢ .
(٤) تفسير البيان ، محمد حسين الطبطبائي ، تحقيق أصغرارادتي ، قم ، مكتب نشر آثار الطبطبائي ، ٣ / ٣١٠.
(٥) التداولية والسرد ، جون . ك آدمز ، ترجمة خالد مسهر ، بغداد ، اصدار مجلة الاقلام ، ٢٠٠٩ ، ٦٧ .

اللفظة في الاستعمال العربي الفصيح ، وعلاقتها بالنسق اللغوي الذي وردت فيه بالآية الكريمة ، وما هي المعاني التي تستدعيها العلاقات اللغوية وغير اللغوية التي تتوفر عبر فهم المرجعية الاسلامية الثقافية التي نفهمها من القرآن والسنة فضلا عن اللغة ؛ لأنّ ((انتاج النصّ هو فعل ارادي فاعل بالغ الإحكام ، ولا يمكن أنْ ننتج نصّا من الفراغ ، إنّ النصّ لا يمكن فهمه إلاّ عبر النصوص السابقة أو المتزامنة معه ، أي عبر خلفية ثقافية معينة))[1]، وعلى ذلك سنحاول بيان المقصد الدقيق للآية الكريمة .

المبحث الأول : معنى (أمّة) في اللغة والاستعمال

أورد أهل اللغة والمعاجم وجوه المعنى للفظة (أمّة) عبر بحثهم في أصول المباني لألفاظ اللغة العربية وتصرفها بالحذف والزيادة ، فذكروا أنّ الجذر هو (أم م) سواء في ذلك لفظة (أمّ) ،أو(أمّة) تقرأ الهمزة بالفتح أو الضم ، واتفقوا على أنّ دلالة باب هذا الأصل في معظم استعمالاته لا تخرج عن معنى الإمامة ، والمرجع ، والأصل ، والقصد سواء كان هذا المعنى المباشر في الاستعمال أو غير المباشر من مثل قولهم : ((أمّ : أمّا الهمزة والميم فأصل واحد ، يتفرع منه أربعة أبواب ، وهي الأصل والمرجع والجماعة والدين ، وهذه الأربعة متقاربة ، وبعد ذلك أصول ثلاثة هي : القامة والحين والقصد ... الأمّ : القصد قال يونس: هذا أمر مأموم يأخذ به الناس))[2] ، وقيل : ((الأمّ بالفتح : القصد ، أمّه يؤمه إذا قصده أقيم مقام المأموم أي : هو على طريق ينبغي أنْ يُقصَد ... ويحتمل أنْ يكون : الأمّ وإنْ كانت الرواية بضم الهمزة فإنه يرجع إلى أصله .... وجمل مئِمّ : دليل هادٍ ، وناقة مئمة كذلك ، وكله من القصد ؛ لأنّ الدليل الهادي قاصد ... والأمّ : العلم الذي يتبعه الجيش .... والأمّ: كالأمّة والأمّة : الرجل الذي لا نظير له ، وأصل هذا الباب من القصد))[3]، وقيل كذلك:

(١) نظرية النص من بنية المعنى إلى سيميائية الدال ، حسين خمري ، الجزائر ، منشورات الاختلاف ، ٢٠٠٧ .

(٢) معجم مقاييس اللغة ، ابن فارس ، تحقيق عبد السلام هارون ، القاهرة ، دار الفكر ، ١٩٧٩ ، ١ / ٢١ ، ٣٠.

(٣) لسان العرب ، ابن منظور ، بيروت ، دار صادر ، ١٢ / ٢٣ ٢٧.

((والأمّة بضم الهمزة : يتصرف على ثمانية معان : فالأمة : القرن من الناس ، وأمّة كلّ نبي: تبّاعه ، والأمّة : الرجل الذي يؤتم به والأمة : الجماعة من الناس ، والأمة : الحين ، والأمة : الرجل الواحد الذي يقوم مقام جماع ، والأمّة بالكسر والضم : الدين ، والأمة : الأمّ))[١]، وقيل : ((الأمة : الامامة والأمة ، القدوة التي يؤتم به ، والأمّة : النعمة))[٢] ، وقيل في بعض الصيغ المشتقة من أمّ : ((استأمّ أمّة غير أمتك ، بتسكين الهمز ، أي : اتخذ . وتأميت أمّة))[٣] ، وقيل : ((الأمة بالكسر : النعمة والحالة الحسنة))[٤] ، وقيل : ((الأمة : تبّاع الأنبياء ، والأمة : الجماعة ، والأمة : الصالح الذي يؤتم به ، والأمة الدين ، والأمة : المنفرد بالدين ، والأمة : الحين من الزمان ، والأمة : الأم))[٥] وقيل كذلك : ((وأمّ الرمح : لواءه وما لفّ عليه من خرقة ، والأمة بالكسر : الهئية في الامامة ، والحالة))[٦] ، وقيل في معنى الأمة : ((الأمّ : لكل شيء هي المجمع له والمضم ... ويقال للرجل العالم : الأمة ، والأمة: الجماعة ، والأمة : الرجل الجامع للخير ، والأمة : المعلم))[٧] وقيل أيضا في هذا المعنى : ((وسميت النعمة إمّة ؛ لأنّها مقدمة فيما يطلب ومنبعه ، ومنه الإمام : خيط البناء ، وإمام المسجد ، والائتمام ، وروي ذو إمّة أي : ذو دين ، وهذا من الاستقامة ، ومنه قولهم : أمري

(١) المثلث ، ابن السيد البطليوسي ، تحقيق صلاح الفرطوسي ، بغداد ، وزارة الثقافة ، ١٩٨١، ١/ ٣٢٨، ٣٢٩ .

(٢) المحيط في اللغة ، الصاحب بن عباد ، تحقي محمد آل ياسين ، بيروت ، عالم الكتب ، ١٩٩٤ ، ١٠ / ٤٦٠.

(٣) الصحاح ، الجوهري ، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار ، بيروت ، دار العلم للملايين ، ٦ / ٢٢٧٢ (أما).

(٤) خزانة الأدب ، البغدادي ، تحقيق عبد السلام هارون ، القاهرة ، مكتبة الخانجي ، ١٩٩٦ ، ٨ / ٤٩٧.

(٥) الأضداد ، محمد بن القاسم الانباري ، تحقيق محمد أبو الفضل ، بيروت ، المكتبة العصرية ، ١٩٧٨ ، ٦.

(٦) التكملة والذيل والصلة ، الصغاني ، تحقيق ابراهيم الأبياري ، القاهرة ، دار الكتب ، ١٩٧٧ ، ٥ / ٥٧١.

(٧) تهذيب اللغة ، الأزهري ، تحقيق ابراهيم الأبياري ، القاهرة ، دار لكتاب العربي ، ١٩٦٧ ، ١٥ / ٦٣٤.

وأمرهم أمم والأمّ : القصد وفي سيره أمم))[1] ، ويرجع أهل اللغة أصل الاستعمال إلى بيئة العرب فأصل اللفظ المستعمل من قول العرب : ((ناقة مؤتِم وإنّها مشتقة من أمّ يؤم إذا قصد ، سميت بذلك ؛ لأنّ ولدها يؤمها ويتبعها))[2] ، وعلى هذه الآراء يكون استعمال لفظة (أمّة) عند العرب على المعاني أو المقاصد التالية :

١ـ القصد أو المقصود .

٢ـ الإمام الذي يتقدم الناس .

٣ـ المتبع في الأمور .

٤ـ الدليل .

٥ـ الهادي .

٦ـ الدين .

٧ـ الرجل الذي لا نظير له .

٨ـ الرجل الذي يؤتم به .

٩ـ النعمة .

١٠ـ الصالح .

١١ـ الرجل العالم .

١٢ـ المَجمع والمَضم .

١٣ـ الرجل الجامع للخير .

١٤ـ العَلم المتبع أو الراية .

١٥ـ الحين والقرن من الناس .

(١) شرح فصيح ثعلب ، المرزوقي ، تحقيق سليمان العايد ، مكة المكرمة ، جامعة أم القرى ، ٢٠٠٨، ٤٢٣ .

(٢) رسائل في اللغة ، البطليوسي ، تحقيق وليد حميد ، الرياض ، مركز الملك فيصل للبحوث ، ٢٠٠٧ ، ٢٧٢.

وهذه المعاني كلها متداولة في الاستعمال العربي في الخطاب، وبيان المقاصد في كلامها الفصيح وقد استعمل القرآن الكريم هذه اللفظة في مواضع كثيرة في آياته الكريمة ، ولجأ المفسرون إلى كلام العرب في تفسير المعاني وبيان المقصد القرآني للفظة (أمّة) فركز بعضهم على وجه واحد أو وجهين ، وأهمل باقي الوجوه مما جعل المقصد القرآني غير مستوفي للمعنى المراد من سياق الآية الكريمة سيما في الآية موضع عناية البحث فقد اختلفوا في تفسير لفظة (أمّة) وبيان المقصود في قوله تعالى : ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾ ، فنرى بعضهم يرى أنّ المقصود هم جماعة الأمة الاسلامية كلهم من مثل قولهم : ((يخبر تعالى عن هذه الأمة المحمدية بأنهم خير الأمم .... والمعنى أنهم خير الأمم وأنفع الناس للناس))[١]، وقيل في تفسيرها : ((جاء ذلك لتقديم البشارة بالنبي ﷺ وأمته ؛ فالمعنى كنتم عند من تقدمكم من أهل الكتاب خير أمة ، وقال الأخفش : يريد أهل دين))[٢] ، وقيل كذلك : ((هذا كلام مستأنف يتضمن بيان حال هذه الأمة في الفضل على غيرها من الأمم ، وكان، قيل : هي التامة أي : وجدتم وخلقتم خير أمة))[٣] وقيل : ((لما قال اليهود للمسلمين : نحن أفضل منكم وديننا خير مما تدعوننا إليه أنزل الله : "كنتم " أي : أنتم ، " خير أمة " : أظهرت ، " للناس " أي : ما أخرج الله للناس أمة خيرا من أمة محمد ﷺ))[٤]، وقيل كذلك: ((قال الحسن ابن ابي الحسن وجماعة من أهل العلم : الآية خطاب لجميع الأمة بأنهم خير أمة أخرجت للناس ويؤيد هذا التأويل كونهم شهداء على الناس))[٥] ، ويرى آخرون أنّ لفظة (أمة) تعني مجموعة من أصحاب النبي من مثل قولهم في تفسير الآية : ((قال عكرمة ومقاتل : نزلت في ابن مسعود ، وأبي بن كعب ، ومعاذ بن جبل

(١) تفسير القرآن العظيم ، ابن كثير ، تحقيق حكمت بشير ، القاهرة ، دار ابن الجوزي ، ٢٠٠٨ ، ٢ / ٣٩٥.

(٢) الجامع لأحكام القرآن ، القرطبي ، تحقيق عبد الله التركي ، بيروت ، مؤسسة الرسالة ، ٢٠٠٦ ، ٥ / ٢٦٠.

(٣) فتح القدير ، الشوكاني ، اعتناء يوسف الغوش ، بيروت ، دار المعرفة ، ٢٠٠٧ ، ٢٣٧.

(٤) فتح الرحمن في تفسير القرآن ، مجير الدين الحنبلي ، تحقيق نور الدين طالب ، قطر ، وزارة الأوقاف ، ٢٠٠٩ ، ٢ / ١٠.

(٥) جواهر الحسان في تفسير القرآن ، الثعالبي ، بيروت ، مؤسسة الأعلمي ، ١ / ٢٩٩.

وسالم مولى حذيفة ... وقال جويبر عن الضحاك : هم أصحاب محمد ﷺ خاصة الرواة والدعاة الذين أمر الله المسلمين بطاعتهم ، وعن عمر بن الخطاب قال : " كنتم خير أمة أخرجت للناس " تكون لأولنا ولا تكون لآخرنا))[١] ، وقيل : ((قال عمر بن الخطاب : " كنتم " في خاصة أصحاب محمد ﷺ ، ومن صنع مثل صنيعهم ، وعن ابن عباس : هم الذين هاجروا مع رسول الله إلى المدينة))[٢] وقيل في تفسير الآية : ((والخطاب في قوله " كنتم " إمّا لأصحاب الرسول ﷺ ونقل ذلك عن عمر بن الخطاب وابن عباس ... وإمّا أنْ يكون الخطاب بضمير كنتم للمسلمين كلهم في كلّ جيل))[٣] ، وروي عن ابن عباس قوله: ((أخرجت من مكة إلى المدينة ، وهي جملة في موضع الصفة لأمّة أي : خير أمة مخرجة))[٤] ، وقيل في تفسيرها : ((هم الذين هاجروا مع محمد ﷺ إلى المدينة))[٥]

وذهب بعض المفسرين إلى التعميم في المعنى دون تحديد المقصود بـ(أمة) من مثل قولهم: ((قيل كنتم في علمي ، وقيل هو بمعنى صرتم))[٦] ، وقيل : (("وكنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف " " وأولئك هم المفلحون" هم الأخصاء بالفلاح دون غيرهم))[٧]، وقيل : ((المعنى : كنتم في حكم الله ، وقيل : بمعنى أنتم ، والوجه الأول))[٨]، وقيل كذلك : ((أي : أنتم خير ، قال : معناه ، كنتم خير أمة في علم الله))[٩] .

(١) معالم التنزيل ، البغوي ، تحقيق محمد عبد الله وآخرون ، الرياض ، دار طيبة ، ١٩٨٩ ، ٢ / ٨٩.
(٢) الدر المنثور في التفسير بالمأثور ، السيوطي ، بيروت ، دار الفكر ، ٢٠١١ ، ٣ / ٢٩٣.
(٣) التحرير والتنوير ، ابن عاشور ، تونس ، الدار التونسية للنشر ، ١٩٨٤ ، ٤ / ٤٨.
(٤) البحر المحيط ، ابو حيان الأندلسي ، تحقيق عادل أحمد وآخرون ، بيروت ، دار المكتبة العلمية ، ٢٠١٠ ، ٣ / ٣١.
(٥) تفسير عبد الرزاق الصنعاني ، تحقيق محمود محمد عبده ، بيروت ن دار الكتب العلمية ، ١٩٩٩، ١ / ٤٠٨.
(٦) املاء ما من به الرحمن ، العكبري ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، ١ / ١٤٥.
(٧) الكشاف ، الزمخشري ، اعتناء خليل مأمون ، بيروت ، دار المعرفة ، ٢٠٠٩ ، ١٨٧.
(٨) كشف المشكلات وايضاح المعضلات ، الباقولي ، تحقيق محمد أحمد ، دمشق ، مجمع اللغة العربية ، ١٩٨٧، ١ / ٢٤٥.
(٩) معاني القرآن ، ثعلب الكوفي ، تحقيق شاكر سبع الأسدي ، الناصرية ، مطبعة الناصرية ، ٢٠١٠ ، ٥١.

وعلى هذه المعاني التي أوردها هؤلاء المفسرون نجد أنّهم نظروا إلى المعنى الظاهر للآية الكريمة وكأنّها منفصلة عن السياق القرآني ، وهذه الطريق تجعل معاني القرآن مبهمة وغير واضحة وموضع اختلاف كما ظهر في تفسيرهم ، أي بمعنى أنّ القرآن غير مفهوم في بعض مقاصده وهو ما يخل بالهدف الذي يرمي إليه الخطاب القرآني ، أو النصّ القرآني فالهدف الأساس من أي نصّ هو(الفهم والإفهام) ((وأعظم ما فسر به القرآن هو القرآن ، فإنّه من المعلوم أنّ هذا القرآن مثاني ومتشابه ، أي : بعضه يشبه بعضا ويفسر بعضه بعضا ، وأنّ القصص تثنى فيه فيكون في هذا الموضع ما يفسر الموضع الآخر))[١] ، فعلى ذلك لفهم الآيات علينا الرجوع إلى آيات القرآن الكريم لفهم العلاقات بينها ومعرفة المقصد القرآني والهدف منه ، وقد استعمل القرآن الكريم لفظة (أمّة) في معاني مختلفة جاءت على أساليب العرب وطريقة كلامهم ، إذ وردت في آيات كثيرة من مثل قوله تعالى : ﴿وَقَالَ الَّذِي نَجَا مِنْهُمَا وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا أُنَبِّئُكُمْ بِتَأْوِيلِهِ فَأَرْسِلُونِ﴾[٢] ، إذ تعني الحين أو الزمن ، وأورد القرآن معنى الجماعة فقيل : ((والأمة : القرن من الناس والجماعة قال تعالى : ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا ﴾))[٣] ، ووردت بمعنى الجماعة وبمعنى الإمام فقيل : ((فالأمة : القرن من الناس ، من قوله تعالى : ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ ، والأمة : الإمام من قوله تعالى: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لله ﴾ أي : كان إماما))[٤] ، وقيل في معنى أمة في " كان أمة " : ((أي : إماما يقتدي به الناسُ ؛ لأنّه ومن اتبعه أمة ، فسميّ أمة لأنّه سبب الاجتماع))[٥] ، وقيل : ((الأمة : العالم والنهاية في وقته))[٦] ، ولعل معنى الجماعة أكثر الاستعمالات التي أوردها القرآن الكريم من مثل قوله تعالى : ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ

(١) در الأسرار في تفسير القرآن ، محمود محمد ، بيروت ، داار الكتب العلمية ، ٢٠١١ ، ١ / ١٠.
(٢) سورة يوسف ، الآية : ٤٥.
(٣) كتاب الفصيح ، ثعلب الكوفي ، تحقيق عاطف مدكور ، بيروت ، دار المعارف ، ٣٠٢.
(٤) الاشتقاق ، ابن دريد ، تحقيق عبد السلام هارون ، القاهرة ، مكتبة الخانجي ، ١٩٥٨ ، ٢٣٦.
(٥) تأويل مشكل القرآن ، ٤٤٥.
(٦) معاني القرآن ، ثعلب الكوفي ، ١١٨.

عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا ﴾ [١] ، وقوله تعالى : ﴿كَذَلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ مَرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾[٢] ، وقوله تعالى : ﴿ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَسُولٌ فَإِذَا جَاءَ رَسُولُهُمْ قُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾[٣]، وقوله تعالى : ﴿كَذَلِكَ أَرْسَلْنَاكَ فِي أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهَا أُمَمٌ﴾ [٤] ، فمعنى العموم للجماعة ظاهر في هذه الآيات، ويبدو أنّ المفسرين نظروا إلى هذا الجانب من معنى الآية واستحسنوا حمل المقصد القرآني على عموم الأمة الاسلامية ، لكن هناك آيات حملت معنى التبعيض أي : بمعنى بعض الجماعة ، والبعض هنا عدد قليل قياسا على العام من ذلك قوله تعالى : ﴿وَأَلْقُوهُ فِي غَيَابَتِ الْجُبِّ يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ ﴾[٥] ، فالسياق القرآني التي وردت فيها الآية موضع الدراسة لا يحمل معنى العموم ومقصده بأي صورة ؛ وذلك ما حملته الآية السابقة التي وردت وهي قوله تعالى: ﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾[٦] ، وقد اتفق أغلب المفسرين على معنى التبعيض في الأمة في هذه الآية أي : أنّ المقصد يشمل جزء محدد من الأمّة لا جميعها من مثل قولهم : ((" ولتكن منكم أمة " من للتبعيض لأنّ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من فروض الكفايات ؛ ولأنّه لا يصلح له إلاّ مَن علم المعروف والمنكر وعلم كيف يرتب الأمر في اقامته وكيف يباشر)) [٧] ، وقيل: ((أمر الله سبحانه وتعالى الأمة بأن يكون منها علماء يفعلون هذه الأفعال على وجوهها ويحفظون قوانينها ويكون سائر الأمة متبعين لأولئك إذ هذه الأفعال لا تكون إلاّ بعلم واسع وقد علم الله سبحانه أنّ الكل لا يكونون علماء فمن هنا للتبعيض)) [٨] ، وقيل :

(١) سورة النساء ، الآية : ٤١.
(٢) سورة الأنعام ، الآية : ١٠٨.
(٣) سورة يونس ، الآية : ٤٧.
(٤) سورة الرعد ، الآية : ٣٠.
(٥) سورة يوسف ، الآية : ١٠.
(٦) سورة آل عمران ، الآية : ١٠٤.
(٧) الكشاف ، ١٨٧.
(٨) جواهر الحسان في تفسير ، ١ / ٢٩٧.

((ولتكن منكم أمّة " يعني عصبة)) [١] ، وقيل : ((هم خاصة أصحاب رسول الله ﷺ ، وهم خاصة الرواة)) [٢] ، وقيل فيها : ((ومن قوله " منكم " للتبعيض ، ومعناه إنّ الآمرين يجب أنْ يكونوا علماء ، وليس كلّ الناس علماء ، وقيل لبيان الجنس والمعنى : لتكونوا كلكم كذلك)) [٣] ، وقيل : ((إنّ هذا التكليف مختص بالعلماء ؛ لأنّ الدعوة إلى الخير، والأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر مشروطة بالعلم بهم)) [٤] ، وقيل في تفسيرها : ((أي جماعة تصلح لأنْ يقصدها غيرها ، ويكون بعضها قاصدا بعضا حتى تكون أشدّ ائتلافا واجتماعا)) [٥] ، وعلى هذا فالمقصد القرآني يذهب إلى بعض المؤمنين وليس جميعهم في هذا التكليف وهو (الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر) ، لكن الفكرة في من هم المعنيون بقيت في مسألة العموم الاسلامي أي قد يكون أي فرد منهم مشمول بهذه الآية أو التكليف ، والحقيقة أنّ هذه المسألة لو نظرنا إليها عبر القرآن والسنة فضلا عن اللغة لوجدنا أنّ المكلفين قد حددهم القرآن بالعموم في بعض الآيات وخصهم في آيات أخرى ، أمّا الرسول ﷺ فقد حددهم في عديد المناسبات ، وأظهرهم للمسلمين كافة وقد تعددت المواقف التي عين فيها هؤلاء المقصودين ؛ وذلك لأنّ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مقام من مقامات النبوة وتكليفها ولعل أهم ما يؤيد هذا الرأي قوله تعالى : ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ [٦] ، فالله سبحانه وتعالى يبين في هذه الآية صفات الرسول ﷺ ومميزات دين الاسلام فبدأ بأهم صفاته وهي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لبيان عظمة هذه

(١) تفسير مقاتل بن سليمان ، تحقيق عبد الله محمود ، بيروت ، مؤسسة التاريخ العربي ، ٢٠٠٢ ، ١ / ٢٩٣.
(٢) تفسير الطبري ، تحقيق محمود محمد شاكر ، القاهرة ، مكتبة ابن تيمية ، ١٩٧١ ، ٧ / ٩٢.
(٣) الجامع لأحكام القرآن ، ٥ / ٥٣.
(٤) اللباب في علوم الكتاب ، ابن عادل الدمشقي ، تحقيق عادل احمد وآخرون ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، ١٩٩٨ ، ٥ / ٤٥٠.
(٥) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ، برهان الدين البقاعي ، القاهرة ، الكتاب الاسلامي ، ١٩٦٩، ٥ / ١٨.
(٦) سورة الأعراف ، الآية : ١٥٧.

المزية الاسلامية ، كما بين القرآن الكريم أنّ هناك مقامات مختلفة للأنبياء في التفضيل ، وكذلك لسائر المؤمنين ممن خلق فالاختيار والاصطفاء نعمة يمن الله بها على من يشاء من عباده من مثل قوله تعالى : ﴿إِنَّ اللهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾ (١)، وقوله تعالى : ﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ﴾ (٢) ، وقوله تعالى : ﴿قُلِ الْحَمْدُ للهِ وَسَلَامٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَى آللهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ (٣)، وقوله تعالى : ﴿يَرْفَعِ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾(٤) ، وقوله تعالى : ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ﴾ (٥) ، وقوله تعالى :﴿انْظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَلَلْآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا﴾(٦) ، فظاهر الآيات في التفضيل واضح ، ورفع المقامات لبعض دون البعض هي أرادة وحكمة ربانية ، وهذه الآيات مجملة ، لكن في آيات قرآنية أخرى أظهر القرآن الحكمة الموجبة للتفضيل لهؤلاء البعض أو العدد المحدد ولو من بعض الوجوه ، من مثل قوله تعالى في الآيتين : ﴿ وَمِنْ قَوْمِ مُوسَى أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ ﴾ ، وقوله تعالى : ﴿وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ ﴾(٧)، وقوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ ﴾(٨) ، وقوله تعالى : ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ ﴾(٩) ، فقد بين القرآن بعض أسباب التفضيل والاصطفاء من الله سبحانه وتعالى عندما ذكر المهام التي أوكلت إليهم ومنها : الدعوة إلى الله ، والهداية لطريقه

(١) سورة آل عمران ، الآية : ٣٣.
(٢) سورة البقرة ، الآية : ٢٥٣.
(٣) سورة النمل ، الآية : ٥٩.
(٤) سورة المجادلة ، الآية : ١١.
(٥) سورة الأنعام ، الآية : ١٦٥.
(٦) سورة الاسراء ، الآية : ٢١.
(٧) سورة الأعراف ، الآيتان : ١٥٩ ، ١٨١.
(٨) سورة الأنبياء ، الآية : ٧٣.
(٩) سورة السجدة ، الآية : ٢٤.

المستقيم ، وفعل الخير أي جنس الخير كيفما كان ، ومن صفاتهم الصبر على المكاره في جنب الله ، عبر الإيمان المطلق بالله وبغيبه ، ومثل هذه الصفات المخصوصة بينها لنا الرسول ﷺ حينما فسر القرآن الكريم عبر سنته القولية والفعلية ؛ وسنبين هذه الصفات عند بعض المؤمنين الذين جعل الله لهم الدرجة الرفيعة في الدنيا والآخرة ، ونبين أنّهم المقصودون في قوله تعالى : ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللهِ﴾ [1]، لا على رؤية من ذهب إلى شمول الأمة كلها في هذا الأمر، حينما فسروا الآية الكريمة من منطلق الفكرة التي ترى عدالة الصحابة كلهم ، مخالفين في ذلك ما بيّنه القرآن الكريم ، والسنة النبوية ، فضلا عن العقل والمنطق، وواقع الحياة من وجود التفاوت في الصفات بين الخلق من مثل قول بعضهم : ((عدالة الصحابة ثابتة معلومة بتعديل الله لهم واخباره عن طهارتهم واختياره لهم ، فمن ذلك قوله " كنتم خير أمة أخرجت للناس))[2] وهو ما سنفصله في المبحث التالي .

المبحث الثاني : المعطيات القرآنية والسنة النبوية :

العملية التواصلية بين الناس تخضع لشروط وضوابط يجب أنْ تراعى من قبل المتكلم الذي يقوم ببيان مقصده عبر مراعاته لهذه الضوابط ؛ كي يسهل عملية الفهم للمتلقي وهي مسألة بديهة في كلّ عملية تخاطب ، إذ يعمد المتكلم إلى اختيار ألفاظه من البيئة اللغوية المستعملة ، ويجعلها في نسق معين على وفق النظام النحوي وقواعده ، وتحت مرجعية ثقافية واحدة فلا يكون الاتصال ناجحا حين يستعمل لفظة غير مفهومة، أو تسبب الارباك أو عدم الفهم للمتلقي ((فإنّ ما يجعل التواصل ممكنا هو المعرفة المشتركة بالمفهوم التصوري الذي يتعلق غرض الاخبار به ، فيشكل مدلولا عليه ضمن المرسلة ، والمفهوم ذاته يمّكن المستقبل أنْ يستدل عبره قصد المتكلم)) [3] والمقصود بالمفهوم التصوري هو استعمال

(١) سورة آل عمران ، الآية : ١١٠ .

(٢) الاصابة في تمييز الصحابة ، ابن حجر العسقلاني ، تحقيق عبد الله عبد الحق ، القاهرة ، مركز البحوث والدراسات ، ٢٠٠٨ ، ١ / ٢٣ .

(٣) كليات المعرفة اللغوية عند الفلاسفة المسلمين ، كريم علوي ، الجزائر ، منشورات ضفاف ، ٢٠١٣ ، ٢٧٧ .

المسميات والألفاظ التي تقدمها الثقافة المشتركة بين المتكلم والمتلقي بما يخدم القصد الذي تقوم عملية التواصل من أجله ومنها لفظة أمّة ؛ لذلك ((يوصف الاتصال بأنّه فعّال حينما يكون المعنى الذي يقصده المرسل هو الذي يصل بالفعل إلى المستقبل)) [1] ، فمعرفة الغرض أو المقصد من النص مسألة أساسية في كل بحث في فهم أي نصّ ومنها الآيات القرآنية ((فالفرق بين الغرض والمعنى ، أنّ المعنى : القصد الذي يقع به القول على وجه دون وجه . والكلام لا يترتب في الاخبار والاستخبار وغير ذلك إلاّ بالقصد)) [2] ، وعليه لا يمكن النظر إلى المعنى العام دون البحث عن المقصد الدقيق لكل نصّ ومنه الآية موضع البحث ، فالقرآن الكريم كتاب قائم بين الناس إلى قيام الساعة وفهمه مسألة قد كلفها الشرع للمسلمين كافة عبر الأمر بتدبره ؛ لذلك حينما نطلع على مسألة العموم لكل الأمة المسلمة مع ما ذكره القرآن من آيات العتاب والتحذير والتي بدأها بلفظ (يا أيها الذين آمنوا) لا نستطيع القبول بالرأي الذي يقول بالشمول ، ونميل إلى الرأي الذي يقول بالتخصيص والتحديد مع التحفظ على ما أورده أغلب المفسرين الذين ذكروا بعض أسماء الصحابة وقالوا أنّهم المقصودون ، ونرى أنّ لفظة (أمّة) في هذه الآية هي (مناسب استدلالي) يساعد المتلقي على تحديد المقصد الدقيق للآية الكريمة ، أو هي علامة لغوية تحيل على سابق قد ذكر وحُدِدَ من قبل المتكلم وهو (القرآن والسنة) عبر مناسبات كثيرة سواء في ذلك استعمال لفظة (أمّة) بالمعنى العام المستعمل ، أو (أئمّة) بالمعنى الخاص فلا فرق في المقصد والمراد القرآني فقد ذكرنا بعض الآيات من مثل قوله تعالى : ﴿وَمِنْ قَوْمِ مُوسَى أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ ﴾ فهو اختيار خاص لطائفة أو مجموعة من أمة موسى عليه السلام يكونون هم القدوة أو المتبعين ؛ كونهم يهدون إلى الطريق المستقيم بالكتاب (الحقّ) ويعدلون به ولعل الدقة في استعمال لفظة أمّة يظهر في ارادة وجوه المعاني التي تدلّ عليها في الاستعمال العربي ، والدين الاسلامي حينما قال تعالى : ﴿وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةٌ يَهْدُونَ

(١) اللغة والتفكير الاستدلالي ، اكرم صالح خوالدة ، عمان ، دار الحامد ، ٢٠١٦ ن ٣٣.
(٢) الفروق اللغوية ، ابو هلال العسكري ، تحقيق محمد ابراهيم ، القاهرة، دار العلم والثقافة ، ١٩٩٧، ٣٤، ٣٥ .

بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ ﴾، فأراد القرآن الكريم أنّ هؤلاء المختارين بأمر الله يتبعون القرآن وبه يعدلون ، فإذا أردنا أنْ ننظر إلى مقصد القرآن فلفظة أمّة تعني : (القدوة ، والمقصود ، والمرجع ، والإمام ، والدليل ، والهادي)، وغيرها من المعاني التي ذكرناها في المبحث السابق، وكلّ هذه الوجوه مقبولة في مقصد الآية الكريمة وبالعودة إلى سياق الآية في قوله تعالى :﴿ وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ ﴾ والتي فسرها البعض بقوله : ((ذكر الدعاة إلى الإيمان ، والدعاة ينبغي أنْ يكونوا علماء بما يدعون إليه وليس الخلق كلهم علماء)) [١] ، وقيل : ((وقوله : " كنتم خير أمة " ، في التأويل : في اللوح المحفوظ ، ومعناه أنتم خير أمّة)) [٢] ، وقيل : ((معناه : كنتم خير أمّة في علم الله)) [٣] ، وقيل في تفسيرها : ((أي : كونوا أمة ، "من" صلة ليست للتبعيض)) [٤] فإذا ما نظرنا إلى بعض الآيات التي وردت في القرآن والتي تساعدنا في فهم المقصد الدقيق للفظة (أمة) من مثل قوله تعالى : ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [٥] وقوله تعالى : ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾[٦] ، فهذا الأمر هو اختيار الله سبحانه وتعالى لبعض عباده حين خلق الخلق وقسّم فضله عليهم ففضل بعضهم على بعض ، يؤيد ذلك قوله تعالى : ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ سُبْحَانَ اللهِ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [٧] ، ثمّ بين موقع الرسول ﷺ وشراكته في هذا الأمر وبيان هذا الفضل وتعيين المؤمنين الذين فضلهم الله على غيرهم ، والأسباب الموجبة لهذا التفضيل والاختيار من مثل قوله تعالى : ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا ﴾ [٨]، فهذا بيان صريح لكل المؤمنين وتحذير لكل مخالف لأمر الرسول ﷺ ،

(١) معاني القرآن واعرابه ، الزجاج ، تحقيق عبد الجليل عبده ، بيروت ، عالم الكتب ، ١٩٨٨ ، ١ / ٤٥٢
(٢) معاني القرآن ، الفرّاء ، تحقيق احمد يوسف وآخرون ، القاهرة ، الدار المصرية ، ١٩٥٥ ، ١ / ٢٢٨
(٣) معاني القرآن ، ثعلب الكوفي ، ٥١
(٤) معالم التنزيل ، ٢ / ٨٥
(٥) سورة النحل ، الآية : ٤٠
(٦) سورة يس ، الآية : ٨٢
(٧) سورة القصص ، الآية : ٦٨
(٨) سورة ، الاحزاب ، الآية : ٣٦.

ولبيان الكينونة في قوله : ﴿ كُنْتُمْ ﴾ التي أرادها الله لهذه الأمّة وخيرها الكثير صرح الرسول ﷺ بعديد المناسبات وعيّن الذين ارتضاهم الله لخير الأمة وجعلهم : المقصد ، والمرجع ، والهادي ، والدليل ، والقدوة ، والمتبوع ، والإمام ، والعالم لهذا الخير وهو روح الإسلام التي تجعل الله راضيا عنهم ويجازيهم على ذلك الجنّة ، فمن القرآن قوله تعالى : ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾ [1] ، فقد اتفق المفسرون أنّ هذه الآية هي خاصة للإمام علي عليه السلام من مثل قولهم في اتفاق الروايات عند المفسرين : ((أخرج عبد الرزاق ، وعبيد بن حميد ، وابن جرير ، وأبو الشيخ ، وابن مردويه، عن ابن عباس قال : نزلت في علي بن أبي طالب)) [2] ، وقيل : ((نزلت في علي " انما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا ")) [3] ، وقد أكد الرسول ﷺ هذه الولاية طيلة مسيرته في الاسلام وآخرها في حجة الوداع، وهي خطبة متواترة جاء فيها التأكيد على استخلاف الإمام علي عليه السلام وله ﷺ في غير هذه المناسبة أحاديث كثيرة تؤكد أهمية اتباعه وعدم مخالفته عليه السلام ، من مثل قوله ﷺ : ((من أحب أنْ يحيى حياتي ، ويموت مماتي و يسكن جنّة الخلد التي وعدني ربيّ ، فليوالّ علي بن أبي طالب ، فإنه لن يخرجكم من هدى ، ولن يدخلكم في ضلالة)) [4] ، وفي اشارة إلى الكينونة في علم الله قال ﷺ : ((مكتوب على باب الجنة لا إله إلاّ الله محمد رسول الله ، علي أخو رسول الله قبل أنْ يُخلق الخلق بألفي عام)) [5] ، وهذه من فضائل الله ولطفه التي خصّ بها الرسول ﷺ والإمام علي عليه السلام ، وهي الحكمة الربانية في ترتيب أمور الخلق، ليكونوا موضع الرضا من الله سبحانه وتعالى ؛ وذلك لأنّ الإمام علي عليه السلام قد خصّه الله بمكانة بعد الرسول ﷺ وهذه المكانة بسبب يقينه وإيمانه بالله ورسوله ، ولو أردنا تعداد هذه الخصائص فلن نستطيع ذكرها في هذه الدراسة ، لكن

(١) سورة المائدة ، الآية : ٥٥.
(٢) فتح القدير ، ٣٨٠.
(٣) أنساب الأشراف ، البلاذري ، تحقيق فيرفد ما لونغ ، مؤسسة الريان ، ٢٠٠٦ ، ق٢ / ١٤٠.
(٤) مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ، الهيثمي ، تحقيق حسين سليم وآخرون ، جدة ، دار المناهج ، ٢٠١٥ ، ١٨ / ٢٢٧.
(٥) المصدر نفسه ، ١٨ / ٢٣٨ ، ٢٣٩.

سنشير إلى بعضها مما يدعم الفكرة وبيان المقصد من مثل علمه وحكمته عليه السلام ، قال صلى الله عليه وآله : ((قُسمت الحكمة عشرة أجزاء فأعطي علي تسعة أجزاء ، والناس جزءا واحدا)) [١] ، وروي عنه صلى الله عليه وآله : ((لما نزلت الآية " أكملت لكم دينكم ورضيت لكم الاسلام دينا " قال صلى الله عليه وآله : الله أكبر على اكمال الدين ورضا الرب برسالتي وولاية علي بن أبي طالب بعدي)) [٢]، والمتتبع لآيات القرآن الكريم في الإمام علي عليه السلام سواء في ذلك الخاصة له ، أو العامة التي يدخل فيها يجد أنّ الله سبحانه قد كرمه لأيمانه وصدق عقيدته يؤيد ذلك الأحاديث النبوية من مثل قوله تعالى بيان قربه من الله ورسوله : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ [٣]، فهذه الآية نجد تفسيرها في يوم خيبر إذ بين الرسول صلى الله عليه وآله المخصوص بهذه المنزلة عند الله حينما قال : ((لأعطينّ الراية غدا رجلا يفتح الله عليه يُحبُ اللهَ ورسوله ، ويحبه اللهُ ورسولُه ، فبات الناس أيهم يُعطى فغدوا كلهم يرجوه فقال صلى الله عليه وآله : أين علي)) [٤]، فعلي عليه السلام بهذه المزلة هو خير أمّة من أهل الإسلام قاطبة فضلا عن قوله تعالى : ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ ﴾ [٥]، إذ اتفق أغلب المفسرين على أنّ (خير البرية) هو علي بن أبي طالب وشيعته لقول الرسول صلى الله عليه وآله حينما : ((قرأ الآية " اولئك خير البرية " ثمّ قال:لعلي بن أبي طالب : أنت وشيعتك من خير البرية)) [٦] ، وقوله صلى الله عليه وآله مشيرا إلى علي : ((والذي نفسي بيده إنّ هذا وشيعته لهم الفائزون يوم القيامة ... فكان أصحاب

(١) مناقب علي بن أبي طالب ، ابن المغازلي ، تحقيق عبد الرحمن التركي ، صنعاء ، دار الآثار، ٢٠٠٣، ٣٢٣.

(٢) شواهد التنزيل وقواعد التفضيل ، الحسكاني ، تحقيق محمد باقر المحمودي ، بيروت ، مؤسسة الأعلمي ، ١ / ١٥٧.

(٣) سورة المائدة ، الآية : ٥٤.

(٤) صحيح البخاري ، دمشق ، دار ابن كثير ، ٢٠٠٢ ، ٧٤١.

(٥) سورة البينة ، الآية : ٨.

(٦) المحرر الوجيز ، ابن عطية الاندلسي ، تحقيق عبد السلام عبد الشافي ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، ٢٠٠١ ٥ / ٥٠٨.

النبي ﷺ إذا أقبل علي قالوا : جاء خير البرية)) [١] ، ومعنى البرية في اللغة : ((الخلق وهو من برأ الله الخلق أي خلقهم)) [٢] ، أي خلق الناس كلهم ؛ فيكون التأويل هو خير الخلق أجمعين وهذا يعيدنا إلى الآية موضع الدراسة فيكون الوجه المقبول والمقصود القرآني أنّ عليا والحسن والحسين والأئمة من ولدهم عليهم السلام هم المعنيين بالأمة دون سائر الناس وذلك ؛ لأنّهم يمثلون الثقل الثاني مع القرآن الكريم لقوله ﷺ : ((إني تارك فيكم الثقلين أحدهما أكبر من الآخر ، كتاب الله وعترتي أهل بيتي فانظروا كيف تخلفوني فيهما ، فانهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض)) [٣] ، وبعدّهم الثقل الذي يعادل القرآن نفهم المقصد القرآني من قوله تعالى : ﴿وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ ﴾ ، ولعل فهم القرآن هو الأساس بمسألة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كون هذا العمل هو مقام من مقامات الأنبياء كما ذكرنا ، كذلك بين الرسول ﷺ مقام أهل بيته وأنّهم المرجع ، والمقصد ، والدليل ، والهادي، والخير الجامع، والمتبع ، في الاسلام ؛ لأنّهم الهداة إلى خير الدنيا والآخرة وله أحاديث كثيرة من مثل قوله ﷺ : ((النجوم أمان لأهل الأرض من الغرق ، وأهل بيتي أمان لأمتي من الاختلاف، فاذا خالفها قبيلة من العرب اختلفوا فصاروا حزب ابليس)) [٤] ، وليؤكد ﷺ استمرارية عدالة وعدم افتراق أهل بيته مع القرآن ، وأنّهم عدل القرآن ، وإنّ الأمر لا يتوقف على حقبة معينة قال : ((في كل خلف من أمتي عدول من أهل بيتي ، ينفون عن هذا الدين تحريف الغالين ، وانتحال المبطلين ، وتأويل الجاهلين ألا وإنّ أئمتكم وفدكم إلى الله عزّ وجلّ ، فانظروا من توفدون)) [٥] ، وقد حدد الرسول ﷺ أهل بيته خاصة في مناسبات كثيرة لئلا يكون هناك التباس في من هم من مثل ما روي عنه ﷺ آية التطهير عن أم سلمة:

(١) الدر المنثور في التفسير بالماثور ، ٨ / ٥٨٩.
(٢) اصلاح المنطق ، ابن السكيت ، تحقيق احمد محمد وآخرون ، القاهرة ، دار المعارف ، ١٧٩ .
(٣) خصائص علي بن أبي طالب ، النسائي ، بيروت ، دار الكتاب العربي ، ١٩٨٧ ، ٨٥.
(٤) المستدرك على الصحيحين ، الحاكم النيسابوري ، تحقيق مركز البحوث وتنقية المعلومات ، بيروت، دار التأصيل ، ٢٠١٤ ، ٥ / ٣٦٩.
(٥) فضائل الثقلين ، شهاب الدين الشافعي ، تحقيق حسين البيرجندي ، طهران ، مركز التحقيقات ، ٢٠٠٧ ، ٤٢٦.

((أنّ هذه الآية لما نزلت أدار النبي كساءه على علي وفاطمة والحسن والحسين فقال : اللهم هؤلاء أهل بيتي فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا)) [١] ، وروي : ((أنّ رسول الله ﷺ كان يمر باب فاطمة ستة أشهر إذا خرج لصلاة الفجر يقول الصلاة يا أهل البيت " إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس ")) [٢] ، وهذه المسألة أصبحت متواترة عند المسلمين من مثل قولهم : ((ذلك أنّ الأمة قد اتفقت على أنّ لفظ أهل البيت إذا أطلق ، إنما ينصرف إلى الإمام علي والسيدة فاطمة الزهراء والحسن والحسين وذريتها)) [٣] ، وقد علم أهل البيت عليهم السلام دورهم القيادي في الدين والعقيدة الذي خصصه الله لهم وطالبوا المسلمين في طاعتهم من مثل قول الإمام الحسن عليه السلام يذكرهم بذلك في خطبة له عندما بويع بالخلافة منها : ((نحن حزب الله المفلحون ، وعترة رسول الله الأقربون ، وأهل بيته الطاهرون الطيبون ... فأطيعونا فإنّ طاعتنا مفروضة إذ كانت بطاعة الله والرسول وأولي الأمر مقرونة)) [٤] ، وفي بيان أنهّم الطريق الهادي ، أو المقصد المتبع إلى الجنة قال الإمام علي عليه السلام مخاطبا عمر بن سعد ويسّمع الناسَ : ((كيف أنت إذا قمت مقاما تُخير فيه بين الجنة والنار فتختار النار)) [٥] وهي اشارة واضحة إلى واقعة كربلاء ، حيث قاد سعد جيش الطاغية يزيد ضدّ بقية أهل بيت الرسول ﷺ بقيادة الحسين عليه السلام، يؤيد ذلك أحاديث الرسول ﷺ في مقام الحسن والحسين عليهما السلام ، ومنزلتهما عند الله من مثل قوله : ((بي أنذرتم ثمّ بعلي بن أبي طالب اهتديتم ، وقرأ " إنما أنت منذر ولكل قوم هاد" ، وبالحسن اعطيتم الاحسان وبالحسين تسعدون وبه تشقون ، ألا وأنّ الحسين باب من أبواب الجنة ، من عانده حرم الله عليه ريح الجنة)) [٦] .

(١) حقوق آل البيت ، ابن تيمية ، تحقيق عبد القادر أحمد عطا ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، ١٩٨٧ ، ٢٥.
(٢) المستدرك على الصحيحين ، ٥ / ٣٨٦.
(٣) الامامة واهل البيت ، محمد بيومي مهران ، بيروت ، مركز الغدير للدراسات ، ١٩٩٥ ، ١ / ٢٤.
(٤) مروج الذهب ، المسعودي ، تحقيق أمير مهنا ، بيروت ، مؤسسة الأعلمي ، ٢٠٠٠ ، ٣ / ١١.
(٥) كنز العمال ، المتقي الهندي ، تحقيق محمود عمران ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، ١٩٩٨ ، ٧ / ٢٩٠.
(٦) مقتل الحسين ، الخوارزمي ، تحقيق محمد السماوي ، قم ، انوار الهدى ، ١٩٩٨ ، ٢١٢.

فضلا عن ذلك نجد أحاديث كثيرة تبين أنّ هناك مجموعة ممن صحبوا النبي ﷺ يحاسبون ويعذبون ويكون مصيرهم النار فيكون المفسر الذي قال بأنّ الآية تشمل الصحابة، أو خاصتهم (عبد الله بن مسعود ، ومعاذ بن جبل ، وأبي بن كعب ، وسالم مولى أبي حذيفة) قد خالف ما ثبت عن النبي ﷺ من أحاديث من مثل قوله : ((ليردنّ عليّ الحوض رجال ممن صاحبني ، حتى إذا رأيتهم ورفعوا إليّ اختلجوا دوني ، فأقول : أي ربي أصحابي أصحابي فيقال لي : إنّك لا تدري ما أحدثوا بعدك فأقول : سحقا سحقا لمن بدّل بعدي)) [1] ، وروي عنه ﷺ : ((يَرد عليّ يوم القيامة رهط من أصحابي فيجلون عن الحوض ، فأقول : أي ربي أصحابي فيقال : إنك لا علم لك بما أحدثوا بعدك ، إنهم ارتدوا بعدك على أدبارهم)) [2] ، أمّا فيما يخص المفسر الذي اعتمد قول عمر بن الخطاب (تكون لأولنا ولا تكون لآخرنا) فهي مردودة شرعا وعقلا فمن الشرع أنها تنافي نصوص القرآن الكريم من مثل قوله تعالى : ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴾ [3] ، فظاهر الآية يشمل المؤمنين إلى قيام الساعة ولا تتحدد بحقبة زمنية معينة ، يعزز هذا المعنى قول الرسول ﷺ : ((أفضل الخلق إيمانا قوم في أصلاب الرجال ، يؤمنون بي ولم يروني ، يجدون ورقا فيعملون بما فيها ، فهم أفضل الخلق إيمانا)) [4] .

أمّا الصحابة الذين ذكروا أنّ الآية نزلت فيهم فأرى أنّهم لم يكونوا أفضل الأمة الاسلامية ليستحقوا هذا التفضيل ، فقد روي عن أبي بن كعب قوله : ((إني سمعت رسول الله ﷺ يقول : لو أنّ لابن آدم واديين من مال لابتغى ثالثا ، ولا يملأ جوف ابن آدم إلاّ التراب ، ويتوب على من تاب فقال عمر أفأكتبها ، قال : لا أنهاك قال : فكأنّ أبيا شكّ

(١) صحيح مسلم ، تحقيق مركز البحوث وتنقية المعلومات ، بيروت ، دار التاصيل ، ٢٠١٤ ، ٦ / ١٣٥ .
(٢) صحصح الجامع الصغير وزيادته ، الألباني ، بيروت ، المكتب الاسلامي ، ١٩٨٨ ، ١٣٤٣ .
(٣) سورة الحشر ، الآية : ١٠ .
(٤) الجامع لأحكام القرآن ، ٥ / ٢٦٢ .

أقول من رسول الله ﷺ أو قرآن)) [١] ، ((وروي عن عمر قوله : أقضانا عليّ ، وأقرؤنا أبي ، وإنا لنترك أشياء من قراءة أبي)) [٢] ، وروي : ((عن عبد الله بن مسعود قال : قرأت لما نزلت هذه الآية " ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا " إلى آخر الآية ، قال لي رسول الله ﷺ : قيل لي أنت منهم)) [٣] ، وذكر في فضائله أنّه كان يدخل على رسول الله ﷺ متى شاء ، وقالوا في عمل معاذ بن جبل في اليمن ((كان أول من تاجر في مال الله هو ، فمكث حتى أصاب ، وحتى مات رسول الله ﷺ فلما قدم قال عمر : لأبي بكر : ارسل لهذا الرجل ، فدع له ما يعيشه وخذ سائره منه فقال أبو بكر : إنما بعثه رسول الله ليجبره ، ولست آخذا منه شيئا حتى يعطيني)) [٤] ، ومعنى التجارة في مال الله أنّه أخذ من بيت مال المسلمين وتاجر به حتى ربح ربحا كثيرا ، ولا نعلم وجه التفضيل لهؤلاء على أمّة الاسلام ؛ لذلك لا نذهب بعيدا حينما نقول أنّ مدار الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هو الحفاظ على الدين الاسلامي والشريعة السمحاء كونها تمثل القانون الذي يحكم الناس إلى قيام الساعة وهذا الأمر كان موضع عناية الله ورسوله فانتدب بعضا من عباده المصطفين المخلصين للقيام بمهمة الحفاظ على القيمة العليا للإسلام والمسلمين وكان على رأسهم الإمام علي عليه السلام فقد كانت ((الظاهرة الواضحة لحكمه عليه السلام هي اقامة عدالة الله في الأرض)) [٥] ، فالخطاب القرآني قصد مجموعة محددة من المخاطبين في هذه الآيات وهو ما يظهره السياق في الآيات السابقة واللاحقة وهذا الجانب أظهره القراء في اختلافهم من مثل قراءتهم ((﴿وَمَا يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ يُكْفَرُوهُ وَاللهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران الآية ١١٥] قرأ حمزة والكسائي وحفص " وما يفعلوا من خير فلن يكفروه " بالياء فيهما ، وحجتهم قولهم قبلها " ومن أهل الكتاب أمة قائمة " ، وقرأ الباقون بالتاء فيهما وحجتهم قبلها " كنتم خير أمة أخرجت للناس ..." وما تفعلوا من خير فلن تكفروه " أيها المخاطبون

(١) الدر المنثور في التفسير بالماثور ، ٨ / ٥٨٧.
(٢) الاستيعاب في معرفة الأصحاب ، ابن عبد البر ، عمان ، دار الاعلام ، ٢٠٠٢ ، ٤٣.
(٣) صحيح مسلم بشرح النووي ، القاهرة ، المطبعة المصرية ، ١٩٣٠ ، ١٦ / ١٤.
(٤) الاستيعاب في معرفة الأصحاب ، ٦٥١.
(٥) أهل البيت تنوع أدوار ووحدة هدف ، محمد باقر الصدر ، بيروت ، دار التعارف ، ٦.

بهذا الخطاب)) [١] ، فقد أريد لجوهر الاسلام أنْ يستمر كما جاء به الرسول ﷺ ؛ فاختار الله سبحانه بعضا ممن خلق لهذه المهمة وأمر رسوله بتعيينهم وتعريفهم للناس ؛ وقام الرسول ﷺ بتحديدهم وذكر عددهم في عديد المناسبات واختلافها من مثل قوله ﷺ : ((من أطاعني فقد أطاع الله ، ومن عصاني فقد عصى الله ، ومن أطاع أميري فقد أطاعني، ومن عصى أميري فقد عصاني)) [٢] ، ولئلا يتوهم السامع أو يلتبس عليه الأمير الذي خصّه ﷺ فقد تمّ ذكره سابقا من مثل ما روى جابر بن عبد الله عنه ﷺ : ((قال : سمعت رسول الله ﷺ يوم الحديبية وهو آخذ بضبع علي بن أبي طالب وهو يقول : هذا أمير البررة، وقاتل الفجرة ، منصور من نصره ، ومخذول من خذله ، ثمّ مدّ بها صوته)) [٣]، ويعدّ هذا الاخبار عن أمارة الإمام ﷺ من أقدم النصوص مع آية الإنذار ، فضلا عن الأحاديث الأخرى التي تؤكد على عدم الافتراق من مثل قوله ﷺ : ((علي مع القرآن ، والقرآن مع علي ، لا يفترقان حتى يردا عليّ الحوض)) [٤] ، وهذا يعني عدم افتراق الحق عمن قصدهم القرآن الكريم في قوله تعالى : ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾ ؛ لذلك يرى البحث أنّ المقصد القرآني أراد مجموعة الأئمة من أهل بيت النبي (علي والحسن والحسين والتسعة المعصومين من ذرية الحسين ﷺ) التي اختارها الله من خلقه واصطفاهم وأكد عليها الرسول ﷺ والتي ذكرنا بعضا من الآيات والأحاديث التي تؤيد ما ذهبنا إليه ، فيكون المقصد القرآني بـ (أمّة) يعني : المرجع ، القدوة ، المتبوع ، الدليل ، الهادي ، الإمام، العالم ، المقصد ، أي : موضع الاعتصام في قوله تعالى : ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللهِ عَلَيْكُمْ﴾ [٥]((" ولا تفرقوا " نهى عن الاختلاف في الدين وذلك

(١) حجة القراءات ، أبو زرعة ، تحقيق سعيد الأفغاني ، بيروت ، مؤسسة الرسالة ، ١٩٩٧ ، ١٧٠ ، ١٧١.

(٢) السنن الكبرى ، النسائي ، تحقيق مركز البحوث وتنقية المعلومات ، بيروت ، دار التاصيل ، ٢٠١٢ ، ٩/ ٥٣٥.

(٣) المستدرك على الصحيحين ، ٥ / ٣٣٤.

(٤) ينابيع المودة ، القندوزي ، تحقيق علي جمال ، دار الأسوة ، ٣٩٨.

(٥) سورة آل عمران ، الآية : ١٠٣.

لا يكون الحق إلاّ واحدا وما بعه يكون جهلا وضلالا)) [1] .

الخاتمة :

وجد البحث أنّ تبني بعض المفسرين لوجه من وجوه المعاني في الآية موضوع الدراسة يجعل المراد القرآني بعيدا عن مقصده الدقيق ، مما ذهب بالمعنى عن وجهته الصحيحة ودفع المقصودين بها عن مراتبهم التي رتبها الله لهم حينما جعلهم أئمة للناس ومرجع لدينهم ومعضلاتهم وهذه المراتب ضمنها القرآن الكريم في آيات كثيرة تحيل على هذا المقصد الدقيق ، فضلا عن الأحاديث النبوية المقدسة التي فصلت كثير مما جاء في الكتاب العزيز مجملا .

وقد بين البحث المبررات التي تميل إلى هذا المقصد سواء في ذلك المعطيات اللغوية أو القرآنية متمثلة بالآيات والأحاديث الشريفة ، مما أسهم بصورة دقيقة عمّا قصده القرآن الكريم ، لا ما ذهب إليه المفسرون وهو مقصد منطقي أقرب للواقع الاسلامي في مسألة الاختيار والاصطفاء لمجموعة معينة من الخلق ليؤدوا دورهم في الدعوة إلى الله لا كلّ من هبّ .

ووصل البحث إلى معان مختلفة لمعنى (أمة) التي تكون همزتها مفتوحة أو مضمومة لا فرق في الاستعمال العربي الفصيح ومن هذه المعاني :

١ـ القصد أو المقصود .

٢ـ الإمام الذي يتقدم الناس .

٣ـ المتبع في الأمور .

٤ـ الدليل .

٥ـ الهادي .

٦ـ الدين .

(١) مفاتح الغيب ، الفخر الرازي ، بيروت ، دار الفكر ، ١٩٨١ ، ٨ / ١٧٨ .

٧ـ الرجل الذي لا نظير له .

٨ـ الرجل الذي يؤتم به .

٩ـ النعمة .

١٠ـ الصالح .

١١ـ الرجل العالم .

١٢ـ المَجمع والمَضم .

١٣ـ الرجل الجامع للخير .

١٤ـ العلم المتبع أو الراية .

١٥ـ الحين والقرن من الناس .

وعلى هذه المعاني كلها التي تنسجم مع ما أراده القرآن الكريم والسنة ، حاولنا تبيان واظهار المقصد القرآني الدقيق .

المصادر و المراجع

١ـ القرآن الكريم .

٢ـ الاستيعاب في معرفة الأصحاب ، ابن عبد البر ، عمان ، دار الاعلام ، ٢٠٠٢ .

٣ـ الاشتقاق ، ابن دريد ، تحقيق عبد السلام هارون ، القاهرة ، مكتبة الخانجي ، ١٩٥٨ .

٤ـ الاصابة في تمييز الصحابة ، ابن حجر العسقلاني ، تحقيق عبد الله عبد الحق ، القاهرة، مركز البحوث والدراسات ، ٢٠٠٨ .

٥ـ اصلاح المنطق ، ابن السكيت ، تحقيق احمد محمد وآخرون ، القاهرة ، دار المعارف .

٦ـ الأضداد ، محمد بن القاسم الانباري ، تحقيق محمد أبو الفضل ، بيروت ، المكتبة العصرية ١٩٧٨ .

٧ـ الامامة واهل البيت ، محمد بيومي مهران ، بيروت ، مركز الغدير للدراسات ، ١٩٩٥ .

٨ـ املاء ما من به الرحمن ، العكبري ، بيروت ، دار الكتب العلمية .

٩ـ أنساب الأشراف ، البلاذري ، تحقيق فيرفد ما لونغ ، مؤسسة الريان ، ٢٠٠٦ .

١٠ـ أهل البيت تنوع أدوار ووحدة هدف ، محمد باقر الصدر ، بيروت ، دار التعارف .

١١ـ البحر المحيط ، ابو حيان الأندلسي ، تحقيق عادل أحمد وآخرون ، بيروت ، دار المكتبة العلمية ، ٢٠١٠ .

١٢ـ البيان والتبيين ، الجاحظ ، تحقيق عبد السلام هارون ، القاهرة ، مكتبة الخانجي، ١٩٦٠ .

١٣ـ تأويل مشكل القرآن ، ابن قتيبة ، شرح أحمد صقر ، بيروت ، المكتبة العلمية .

١٤ـ التحرير والتنوير ، ابن عاشور ، تونس ، الدار التونسية للنشر ، ١٩٨٤ .

١٥ـ التداولية عند العلماء العرب ، مسعود صحراوي ، بيروت ، دار الطليعة ، ٢٠٠٧.

١٦ـ التداولية والسرد ، جون . ك آدمز ، ترجمة خالد مسهر ، بغداد ، اصدار مجلة الاقلام ، ٢٠٠٩ .

١٧ـ تفسير البيان ، محمد حسين الطبطبائي ، تحقيق أصغر ارادتي ، قم ، مكتب نشر آثار الطبطبائي .

١٨ـ تفسير الطبري ، تحقيق محمود محمد شاكر ، القاهرة ، مكتبة ابن تيمية ، ١٩٧١ .

١٩ـ تفسير القرآن العظيم ، ابن كثير ، تحقيق حكمت بشير ، القاهرة ، دار ابن الجوزي، ٢٠٠٨ .

٢٠ـ تفسير عبد الرزاق الصنعاني ، تحقيق محمود محمد عبده ، بيروت ن دار الكتب العلمية ، ١٩٩٩ .

٢١ـ تفسير مقاتل بن سليمان ، تحقيق عبد الله محمود ، بيروت ، مؤسسة التاريخ العربي، ٢٠٠٢ .

٢٢ـ التفسير والمفسرون ، محمد حسين الذهبي ، اوند دانش للطباعة .

٢٣ـ التكملة والذيل والصلة ، الصغاني ، تحقيق ابراهيم الأبياري ، القاهرة ، دار الكتب ، ١٩٧٧ .

٢٤ـ تهذيب اللغة ، الأزهري ، تحقيق ابراهيم الأبياري ، القاهرة ، دار لكتاب العربي، ١٩٦٧ .

٢٥ـ الجامع لأحكام القرآن ، القرطبي ، تحقيق عبد الله التركي ، بيروت ، مؤسسة الرسالة ، ٢٠٠٦ .

٢٦ـ جواهر الحسان في تفسير القرآن ، الثعالبي ، بيروت ، مؤسسة الأعلمي .

٢٧ـ حجة القراءات ، أبو زرعة ، تحقيق سعيد الأفغاني ، بيروت ، مؤسسة الرسالة ، ١٩٩٧ .

٢٨ـ حقوق آل البيت ، ابن تيمية ، تحقيق عبد القادر أحمد عطا ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، ١٩٨٧ .

٢٩ـ خزانة الأدب ، البغدادي ، تحقيق عبد السلام هارون ، القاهرة ، مكتبة الخانجي، ١٩٩٦ .

٣٠ـ خصائص علي بن أبي طالب ، النسائي ، بيروت ، دار الكتاب العربي ، ١٩٨٧ .

٣١ـ در الأسرار في تفسير القرآن ، محمود محمد ، بيروت ، داار الكتب العلمية ، ٢٠١١ .

٣٢ـ الدر المنثور في التفسير بالمأثور ، السيوطي ، بيروت ، دار الفكر ، ٢٠١١ .

٣٤ـ رسائل في اللغة ، البطليوسي ، تحقيق وليد حميد ، الرياض ، مركز الملك فيصل للبحوث ٢٠٠٧ .

٣٥ـالسنن الكبرى ، النسائي ، تحقيق مركز البحوث وتنقية المعلومات ، بيروت ، دار التاصيل ، ٢٠١٢ .

٣٦ـ شرح فصيح ثعلب ، المرزوقي ، تحقيق سليمان العايد ، مكة المكرمة ، جامعة أم القرى ، ٢٠٠٨ .

٣٧ـ شواهد التنزيل وقواعد التفضيل ، الحسكاني ، تحقيق محمد باقر المحمودي ، بيروت ، مؤسسة الأعلمي .

٣٨ـالصحاح ، الجوهري ، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار ، بيروت ، دار العلم للملايين.

٣٩ـ صحيح الجامع الصغير وزيادته ، الألباني ، بيروت ، المكتب الاسلامي ، ١٩٨٨ .

٤٠ـ صحيح البخاري ، دمشق ، دار ابن كثير ، ٢٠٠٢ .

٤١ـ صحيح مسلم ، تحقيق مركز البحوث وتنقية المعلومات ، بيروت ، دار التاصيل، ٢٠١٤ .

٤٢ـ صحيح مسلم بشرح النووي ، القاهرة ، المطبعة المصرية ، ١٩٣٠ .

٤٣ـ العقد الفريد ، بن عبد ربه ، شرح أحمد أمين وآخرون ، بيروت ، دار الكتاب العربي ، ١٩٦٥ .

٤٤ـ عندما نتواصل نغير ، عبد السلام عشير ، الدار البيضاء ، افريقيا الشرق ، ٢٠٠٦ .

٤٥ـ فتح الرحمن في تفسير القرآن ، مجير الدين الحنبلي ، تحقيق نور الدين طالب ، قطر، وزارة الأوقاف ، ٢٠٠٩ .

٤٦ـ فتح القدير ، الشوكاني ، اعتناء يوسف الغوش ، بيروت ، دار المعرفة ، ٢٠٠٧ .

٤٧ـ الفروق اللغوية ، ابو هلال العسكري ، تحقيق محمد ابراهيم ، القاهرة، دار العلم والثقافة ، ١٩٩٧ .

٤٨ـ فضائل الثقلين ، شهاب الدين الشافعي ، تحقيق حسين البيرجندي ، طهران ، مركز التحقيقات ٢٠٠٧ .

٤٩ـ كتاب الفصيح ، ثعلب الكوفي ، تحقيق عاطف مدكور ، بيروت ، دار المعارف .

٥٠ـ كتاب المغازي والسير ، ابن اسحق ، تحقيق سهيل زكار ،بيروت ، دار الفكر ، ١٩٧٨ .

٥١ـ الكشاف ، الزمخشري ، اعتناء خليل مأمون ، بيروت ، دار المعرفة ، ٢٠٠٩ .

٥٢ـ كشف المشكلات وايضاح المعضلات ، الباقولي ، تحقيق محمد أحمد ، دمشق ، مجمع اللغة العربية ، ١٩٨٧ .

٥٣ـ كليات المعرفة اللغوية عند الفلاسفة المسلمين ، كريم علوي ، الجزائر ، منشورات ضفاف ٢٠١٣ .

٥٤ـ كنز العمال ، المتقي الهندي ، تحقيق محمود عمران ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، ١٩٩٨ .

٥٥ـ اللباب في علوم الكتاب ، ابن عادل الدمشقي ، تحقيق عادل احمد وآخرون ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، ١٩٩٨ .

٥٦ـ لسان العرب ، ابن منظور ، بيروت ، دار صادر .

٥٧ـ اللغة والتفكير الاستدلالي ، اكرم صالح خوالدة ، عمان ، دار الحامد ، ٢٠١٦ .

٥٨ـ المثلث ، ابن السيد البطليوسي ، تحقيق صلاح الفرطوسي ، بغداد ، وزارة الثقافة، ١٩٨١.

٥٩ـ مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ، الهيثمي ، تحقيق حسين سليم وآخرون ، جدة ، دار المناهج ، ٢٠١٥ .

٦٠ـ المحرر الوجيز ، ابن عطية الاندلسي ، تحقيق عبد السلام عبد الشافي ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، ٢٠٠١ .

٦١ـ المحيط في اللغة ، الصاحب بن عباد ، تحقي محمد آل ياسين ، بيروت ، عالم الكتب، ١٩٩٤ .

٦٢ـ مروج الذهب ، المسعودي ، تحقيق أمير مهنا ، بيروت ، مؤسسة الأعلمي ، ٢٠٠٠ .

٦٣ـ المستدرك على الصحيحين ، الحاكم النيسابوري ، تحقيق مركز البحوث وتنقية المعلومات بيروت ، دار التأصيل ، ٢٠١٤ .

٦٤ـ معالم التنزيل ، البغوي ، تحقيق محمد عبد الله وآخرون ، الرياض ، دار طيبة ، ١٩٨٩ .

٦٥ـ معاني القرآن ، الفرّاء ، تحقيق احمد يوسف وآخرون ، القاهرة ، الدار المصرية ، ١٩٥٥ .

٦٦ـ معاني القرآن ، ثعلب الكوفي ، تحقيق شاكر سبع الأسدي ، الناصرية ، مطبعة الناصرية ، ٢٠١٠ .

٦٧ـ معاني القرآن واعرابه ، الزجاج ، تحقيق عبد الجليل عبده ، بيروت ، عالم الكتب، ١٩٨٨ .

٦٨ـ معجم مقاييس اللغة ، ابن فارس ، تحقيق عبد السلام هارون ، القاهرة ، دار الفكر، ١٩٧٩ .

٦٩ـ المعنى في لغة الحوار ، جيني توماس ، ترجمة نازك ابراهيم ، الرياض ، دار الزهراء، ٢٠١٧ .

٧٠ـ مفاتح الغيب ، الفخر الرازي ، بيروت ، دار الفكر ، ١٩٨١ .

٧١ـ مقتل الحسين ، الخوارزمي ، تحقيق محمد السماوي ، قم ، انوار الهدى ، ١٩٩٨ .

٧٢مقولة الحرفية ومفهوم الفضاء في التراث ، عثمان صادق ، اربد ، عالم الكتب الحديث، ٢٠١١.

٧٣ـ مناقب علي بن أبي طالب ، ابن المغازلي ، تحقيق عبد الرحمن التركي ، صنعاء ، دار الآثار، ٢٠٠٣.

٧٤ـ النحو القرآني في ضوء لسانيات النصّ ، هناء محمود ، بيروت ، دار الكتب العلمية، ٢٠١٢ .

٧٥ـ نظرية النص من بنية المعنى إلى سيميائية الدال ، حسين خمري ، الجزائر ، منشورات الاختلاف ، ٢٠٠٧ .

٧٦ـ نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ، برهان الدين البقاعي ، القاهرة ، الكتاب الاسلامي ١٩٦٩.

٧٧ـ ينابيع المودة ، القندوزي ، تحقيق علي جمال ، دار الأسوة .